العلاقات بين سلاطين دلهي والخلافة العباسية
دراسة في الفكر السياسي لسلاطين دلهي

(602 – 816هـ / 1205 – 1414م)

د/ محمد نصر عبد الرحمن

العلاقات بين سلاطين دلهي والخلافة العباسية
دراسة في الفكر السياسي لسلاطين دلهي
(602 – 816هـ / 1205 – 1414م)(*)

لم يكن عصر سلاطين دلهي مجرد حقبة عادية في تاريخ الهند الإسلامية ، ولن نقع في شباك المبالغة إذا اعتبرنا أن هذه الحقبة واحدة من أهم وأبرز حقب هذا التاريخ ؛ فخلال هذه الحقبة وصل النفوذ الإسلامي في الهند إلى أقصى اتساع له ، حين بسط هؤلاء السلاطين نفوذهم على معظم مناطق الهند ، حقيقة أن هذا التفوق لم يكن طيلة هذه الحقبة ، لكن مع ذلك يبقى لهذه الحقبة أهميتها ورونقها في تاريخ الهند الإسلامية.

وقد صاحب هذه الأهمية اهتمام مماثل من الباحثين بدراسة هذه الفترة ، فخرجت العديد من الدراسات التي تناولت هؤلاء السلاطين بشكل عام(1)، أو جزء من تاريخهم(2).

(*) يتقدم الباحث بخالص الشكر والتقدير لأساتذته وزملائه الذين أثروا البحث بمداخلاتهم وملاحظاتهم عند إلقائه في الموسم الثقافي لسمنار الجمعية المصرية للدراسات التاريخية موسم 2007–2008.

(1) انظر على سبيل المثال :

Majumdar, C., *The Delhi sultanate*, (Bombay, 1960); Qureshi, I., *The administration of the sultanate of Delhi*, (Lahore, 1944).

(2) انظر على سبيل المثال :

Lal, S., *History of the Khaljis , A.D. 1290 – 1320* , (Allahabad, 1950) ; Habibullah, A., *The foundation of Muslim rule in India, A history of the establishment and progress of the Turkish sultanate of Delhi 1206 – 1290*, (Allahabad, 1961); Mahdi H., *Tughluq dynasty*, (Calcutta, 1963).

وتنوعت هذه الدراسات لتغطي معظم جوانب تاريخ هذه الحقبة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية.

وبرغم هذا التنوع إلا أن المكتبة العربية ما زالت تفتقر لدراسات كافية عن هذه الحقبة برغم أهميتها ، ومن هنا جاء اهتمام الباحث بدراسة هذا العصر وتحديدًا مجال الفكر السياسي على اعتبار أنه المجال الأقل حظًّا في الدراسات التي خرجت عن تلك الفترة. ورغم وجود بعض الدراسات التي عنيت بالفكر السياسي الهندي في العصور الوسطى لكنها كانت دراسات عامة تناولت هذا الموضوع بشكل عام(3)، أو جزئية واحدة منه مثل علاقة السلطان بالرعية(4)، وبقيت نقطة لم تحظ بالاهتمام الكافي برغم كونها واحدة من أبجديات الفكر السياسي لسلاطين دلهي، وهي رؤيتهم للخلافة الإسلامية وعلاقتهم بالخلافة العباسية سواء في بغداد أو بعد ذلك في مصر. وهذا ما تتناوله هذه الدراسة.

وتعول الدراسة على تحليل الفكر السياسي لسلاطين دلهي من حيث: إطاره ومسبباته ، ورصد طبيعة العلاقة بين هؤلاء السلاطين والخلافة العباسية في بغداد ومصر ، وكذلك موقف الخلفاء العباسيين من هذا التوجه السياسي لسلاطين دلهي وعلاقتهم بالقوى السياسية الهندية الأخرى المناوئة لهؤلاء السلاطين؛ لنرسم صورة واضحة لموقف كلا الطرفين من هذه العلاقة.

ويجدر بنا أن نعطي في البداية لمحة مختصرة عن أحوال الخلافة العباسية حتى نهاية عصر سلاطين دلهي ، وكذلك التاريخ السياسي لسلاطين دلهي ، وبعض ملامح فكرهم السياسي حتى تكون الصورة واضحة المعالم.

---

(3) انظر على سبيل المثال :

Black, A., *The history of the Islamic political thought from the prophet to the present*, (New York, 2001).

(4) انظر على سبيل المثال :

Aziz, A. " trends in the political thought of medieval Muslim India", *Studia Islamica*, 17(1962), pp.121-130.

بعد دخول التتار بقيادة هولاكو إلى بغداد ، ومقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله عام 656هـ / 1258م ، صار العالم الإسلامي لأول مرة بدون خليفة عباسي(5). لكن الخلافة العباسية لم تنته بذلك ، إذ نجا بعض أفراد البيت العباسي من مذبحة التتار، ومنهم أمير يدعى أحمد حفيد الخليفة العباسي الناصر لدين الله (575-622هـ / 1179-1225م)، واتجه إلى الشام(6). ثم وصلت هذه الأخبار إلى السلطان المملوكي الظاهر بيبرس (658-676هـ / 1260 – 1277م) في مصر فأرسل في طلبه حيث فكر في إحياء الخلافة العباسية في مصر(7).

وبعد وصول الأمير أحمد إلى مصر قام بيبرس وكبار رجال دولته بمبايعته ، وأمر بنقش اسمه على السكة والدعاء له في الخطبة عام 659هـ/ 1261م ، ولقب بالمستنصر بالله(8). لكن بيبرس خشي على سلطته من وجود الخليفة العباسي، فأشار عليه بضرورة الرجوع إلى بغداد واستعادة عرشه هناك، وسرعان ما تم تجهيز الخليفة بعدد من الفرسان للرحيل إلى بغداد ، وفي الطريق هاجمه التتار وقتلوه عام 660هـ/ 1262م(9). وبعدها بحث بيبرس عن أمير آخر من البيت العباسي حتى عثر على أمير يسمى أبو العباس أحمد فأرسل

(5) القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، القاهرة، 1953 ، ج3 ، ص259 ، 260.

(6) ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تحقيق: عبد العزيز الخويطر ، الرياض 1976، ص99 وما بعدها.

(7) عن الظروف التي دفعت الظاهر بيبرس للقيام بتلك الخطوة، انظر :

حامد زيان غانم ، صفحة من تاريخ الخلافة العباسية في ظل دولة المماليك ، القاهرة، 1978 ، ص 18 ، 19 ؛ علي إبراهيم حسن ، دراسات في عصر المماليك البحرية ، القاهرة، 1948 ، ص221 ، 222 ؛

Ayalon, D., " Studies on the transfer of the Abbasid caliphate from Baghdad to Cairo ", *Arabica*, 7(1960), pp.41-59; Holt, P., "Some observations on the Abbasid caliphate of Cairo", *Bulletin of the school of oriental and African studies*, 47 (1984), pp.510- 507.

(8) المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج1 ، القاهرة، 1970 ، ص451.

(9) العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج24 ، تحقيق : محمد عبد القادر خريسات ، حسن محمد النابورة ، العين 2004 ، ص281.

في طلبه وبايعه بالخلافة عام 661هـ/ 1263م ، ولقب بالحاكم بأمر الله[10]. ثم تعاقب بعد ذلك توارث الخلافة العباسية بين أفراد البيت العباسي في مصر خلال العصر المملوكي حتى مقدم العثمانيين[11].

أما عن التاريخ السياسي لسلاطين دلهي فينقسم إلى خمس سلالات هي: السلالة الأولى: المماليك (602 – 686هـ/ 1206– 1287م) ، السلالة الثانية : الخلجيون (689-720هـ/ 1290– 1320م) السلالة الثالثة : آل تغلق (721 – 816 هـ/ 1321 – 1414م) ، السلالة الرابعة: السادات (817- 847هـ/ 1414-1443م) ، السلالة الخامسة: اللوديون (855-932هـ/ 1451-1526م). وسنكتفي هنا بالحديث عن السلالات الثلاث الأولى نظرا لطول الفترة التي تغطي عصر سلاطين دلهي ، وكذلك لأن السلالات الثلاث الأولى تمثل إلى حد بعيد نموذجًا واضحًا للفكر السياسي الذي اتبعه هؤلاء السلاطين في علاقتهم مع الخلافة العباسية ، ولا تختلف السلالات التالية كثيرًا عن هذا النموذج.

وكانت البداية عام 602هـ/ 1206م بعد موت آخر سلاطين أسرة الغوريين السلطان محمد الغوري دون وريث ، فخلفه قائده قطب الدين أيبك الذي كان مملوكًا، ثم أعتق وترقى حتى صار قائدًا للجيش، ثم تولى حكم سلطنة دلهي واضعًا أسس حكم سلالة المماليك الهندية[12]. ولم يدم حكمه كثيرًا وبعد موته خلفه القائد شمس التتمش عام (607 – 633هـ/ 1210 – 1235م) الذي كان هو الآخر مملوكًا لدى قطب الدين أيبك قبل أن يعتقه ، وقد واجه التتمش صعوبات بالغة في تثبيت حكمه تمثلت في منافسة رفاقه من رجال

---

(10) السيوطي ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، ج2 ، القاهرة، 1387هـ ، ص61 ؛ الصفدي، أعيان العصر ، ج1 ، ص208.

(11) للمزيد من التفاصيل عن الخلفاء العباسيين في مصر، انظر :

السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق : رضوان جامع رضوان ، القاهرة، 2004 ، ص511 – 553 ؛ العمري ، مسالك الأبصار ، ج24 ، ص281 – 303.

(12) انظر:

Habibullah, A., *The foundation of Muslim rule in India*, p.89f.

قطب الدين ، بجانب منافسة أمراء البنغال وعلى رأسهم الأمير غياث الدين الخلجي[13]. واستمر الحكم في أسرته حتى عام 664هـ/ 1266م حتى تولى عرش السلطنة الأمير غياث الدين بلبن. وفي عهده ازداد نفوذ دلهي وقويت شوكة السلطنة، لكن وفاته عجلت بنهاية هذه السلالة بعد مقتل آخر سلاطينها عام 689هـ/ 1290م وانتقال الأمر للخلجيين[14].

واستطاع زعيم الخلجيين جلال الدين فيروز شاه اعتلاء عرش سلطنة دلهي عام 689هـ / 1290م ، وخلال عهد هذه الأسرة وصلت السلطنة لأقصى اتساع لها في الهند خاصة في عهد الأمير علاء الدين وابنه قطب الدين مباركشاه قبل أن يقتل الأخير على يد أحد قادته ويدعى خسروشاه لينتهي حكم هذه الأسرة عام 720هـ / 1321م[15].

أما عن السلالة الثالثة ، فكانت بداية حكم آل تغلق للهند عام 721هـ / 1321م حين ارتقى عرش دلهي غياث الدين تغلق (720 – 725هـ / 1320 – 1325م) . وكان غياث الدين جنديًا بسيطًا لدى السلطان علاء الدين الخلجي، واستطاع أن يرتقي لمرتبة القيادة. وكانت الأمور قد اضطربت في نهاية عصر هذه الأسرة بعد مقتل مبارك شاه على يد خسرو واعتلاء هذا الأخير لعرش السلطنة . وكان خسرو من أصل هندوكي فحاول إحياء التقاليد الهندوكية وأبدى استهتاره بالإسلام ومشاعر المسلمين. وقد أثار ذلك مشاعر المسلمين في السلطنة فاستنجدوا بغياث الدين الذي سرعان ما لبى نداءهم ونجح في أن

---

(13) الجوزجاني ، طبقات ناصري ، تصحيح وتعليق عبد الحي حبيبي ، جاب دوم ، كابل 1342 ش ، ص170.

(14) الخلجيون : ينتسب هؤلاء إلى موطنهم الأصلي في منطقة خلج بالقرب من غزنة وكانت بداية ظهورهم في عصر الدولة الغورية. وللمزيد من التفاصيل عن هذه الأسرة وهذه الأحداث، انظر: فرشتة ، تاريخ فرشتة ، بومباي، 1900 ، ص 88 وما بعدها ؛ الساداتي ، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم ، القاهرة 1957 ، ص 132 – 148.

(15) أمير خسرو ، تغلق نامه ، أورنجبار 1933 ، ص45.

Srivastave, A., "Origin of Nasir-ud-din Khusrau Shah of Delhi ", *Indian Historical quarterly*, XXX(1954), pp.19-24.

يلحق الهزيمة بخسرو واعتلى عرش سلطنة دلهي، وبذلك بدأ حكم أسرة آل تغلق. وقد حكم غياث الدين قرابة خمس سنوات قبل أن يخلفه في الحكم ابنه محمد16.

وخلال عهد محمد بن تغلق17 (725 – 752هـ / 1325 – 1351م) وصلت سلطنة دلهي لأقصى اتساع لها ، فقد ضم 23 إقليمًا من أكبر وأغنى أقاليم الهند18. وإن كان قد واجه ثورات عديدة من الأمراء التابعين له ، ثم توفي محمد تغلق أثناء إحدى حملاته على بلاد السند ولم يكن له ولد فعهد بالملك من بعده إلى ابن عمه فيروز تغلق[19]، وخلال عهده ظلت السلطنة على قوتها ، وفي سنة (790هـ / 1388م) توفي السلطان فيروز شاه، وكان قد عهد بالملك إلى حفيده غياث الدين بن فتح خان ولكنه انصرف عن شئون الدولة إلى متعه وملاهيه ، وعامل الأمراء وكبراء الدولة معاملة سيئة فثاروا عليه وقتلوه ، ووقع بعد ذلك خلاف وصراع على الحكم انتهى الصراع في سنة (793هـ / 1390م) بجلوس محمد تغلق الثاني على عرش دلهي[20]. لكنه لم يعمر كثيرا في الحكم إذ سرعان ما قضى نحبه عام (795هـ – 1392م) وارتقى العرش من بعده ابنه مايون شاه، ولكنه توفي بعد أيام قليلة فخلفه أخوه ناصر الدين محمود تغلق. ثم سرعان ما قدر لهذه الدولة أن تشهد نهايتها على يد المغول ، عام 816هـ/ 1414م[21].

---

(16) عن فترة حكم غياث الدين انظر : برني، تاريخي فيروز شاهي ، كلكتا، 1862، ص 423 – 452؛

Banerji, S., " Ghiyasuddin Tughluq shah as seen in his monuments and coins", *Journal of the United Provinces Historical Society*, 15 (1942), pp.45 – 54.

(17) عن فترة حكم محمد بن تغلق، انظر :

Chaghati, M., " Muhamed bin Tughluq shah " , Poona Orientalist , 9 (1944), pp.58 – 61.

(18) العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، ج3 ، ص38.

(19) عن فترة حكم فيروز انظر : برني ، تاريخي فيروز شاهي ، ص 498 وما بعدها.

Basu , K.," Firuz Shah Tughluq as a ruler " , *Indian Historical Quarterly* 17 (1941) , pp.386 – 393.

(20) للمزيد من التفاصيل عن أحداث تلك الفترة، انظر :

Banerjee, A., " A note on the succession of Firuz Shah ", Indian Culture, 2(1935 – 1936),pp.47 – 52.

(21) الساداتي ، تاريخ المسلمين في الهند ، ص169 –180 .

وكما رأينا كانت أصول أسرة سلاطين المماليك في الهند المرتبطة بالرق تؤرقهم ، فقد كان مؤسس هذه السلالة قطب الدين أيبك مملوكًا ، وكذلك كان خليفته شمس الدين التتمش (607 – 633هـ/ 1210 – 1235م) مملوكًا لدى قطب الدين أيبك كما ذكرنا آنفًا. بجانب أن التتمش كان يعاني من منافسة بعض الأمراء الآخرين له، وعلى رأسهم تاج الدين يلدز حاكم غزنة وغيره من أمراء البيت الغوري ، ناهيك عن الحكام الهنادكة الطامحين لعودة سيطرتهم على أراضي السلطنة(22).

وإذا ما انتقلنا من الأوضاع السياسية إلى الفكر السياسي، يمكننا أن نقر بأن الفكر السياسي لملوك الهند المسلمين في العصور الوسطى بوجه عام كان يقوم بصورة أساسية على محاولة التوفيق بين الدين والدولة(23). وقد لاحظ البيروني(24) هذا الأمر حينما تحدث عن وجود انسجام كامل بين الدين والدولة في المجتمع الهندي.

ففي مجتمع تغلب عليه النزعة الدينية كان من أبجديات السلطة الحاكمة أن تقيم وزنًا للدين في فكرها السياسي ، وأن تربطه بشئون الحكم وسياسة الرعية ، وفي مجتمع الهند الإسلامية لم يكن هناك أفضل من الخلافة – أعلى سلطة روحية في العالم الإسلامي– لكي ترتبط بها النخبة الحاكمة في ظل محاولتها للتوفيق بين الدين والدولة.

ذلك أنه ، في الدولة الإسلامية ، لم تكن دلهي عاصمة الإمبراطورية ؛ بل كانت قوة الإسلام. والملك لم يكن حاكم الشعب ؛ بل كان أمير المؤمنين ، قاهر الكفار وحامي الإسلام. والجيش لم يكن جيشا ملكيا ؛ بل كان عسكر الإسلام. والجندي لم يكن فارسا أو من المشاة بل كان من أهل الجهاد. قانون الدولة لم يكن قانونًا علمانيًا أو إنسانيًا ؛ بل كان

---

(22) انظر :

Bartold, W., " Iltutmyš ", *ZDMG*, 61 (1907), p.192-193; Ahmed, A., " Sultan Shams-ud-Din Iltutmish", *Indian Historical Quartarly*, 13 (1936), p.117f.

(23) انظر:

Aziz, *Trends in political thought*, p.121.

(24) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة للعقل أو مرذولة ، تحقيق ساخو ، فرانكفورت 1993، ص23.

شريعة الإسلام. الدولة لم تكن غاية في حد ذاتها ، شأنها في ذلك شأن دولة الإغريق ، بل وسيلة لخدمة مصالح الإسلام[25].

وفي ظل الظروف غير المستقرة لسلاطين دلهي في بداية حكمهم، ومع أبجديات الفكر السياسي المترسخة في أذهان حكام الهند المسلمين ، وبرغم أن التتمش استخدم القوة العسكرية للحفاظ على سلطنته ، فإنه كان في حاجة لدعم معنوي لتقوية مركزه السياسي وسط رعيته المسلمة ، ووسط النخبة الحاكمة الذين ينازعونه على عرش السلطنة. في ظل ذلك لم يجد أفضل من الخلافة العباسية ليستعين بها على تحقيق أغراضه السياسية. فقد رأى أن الحصول على اعتراف رسمي من الخليفة العباسي بشرعية حكمه كفيل بأن يحقق ما يصبو إليه من مركز سياسي.

ورغم أن المصادر المتاحة لدينا لم تقدم لنا ما يفيد قيامه بالاتصال مباشرة بالخلافة العباسية لتحقيق هذا الأمر ، إلا أن لدينا من القرائن ما يؤكد على هذا التوجه ، فقد حرص على ذكر اسم الخليفة العباسي المعاصر له وهو الناصر لدين الله على عملاته التي ضربها ، كما حرص على التلقب بلقب ناصر أمين المؤمنين[26].

ويبدو أن التتمش استمر في سياسته في الارتباط بالخلافة العباسية مع الخليفة التالي المستنصر بالله فنراه يضع اسمه على عملته كما فعل مع سلفه[27]. وسرعان ما أثمرت هذه السياسة ، فبعد أن قضى التتمش على تاج الدين يلدز وانفرد بحكم الهندوستان ، تلقى

---

(25) انظر :

Lal, *Early Muslim in India*, p.90.

(26) جاء على وجه العملة: (لا إله إلا الله محمد رسول الله الناصر لدين الله أمير المؤمنين)، وعلى قفا العملة: (السلطان الأعظم شمس الدنيا والدين أبو المظفر التتمش السلطان ناصر أمير المؤمنين)، انظر نموذج للعملة بالملاحق، وانظر:

Goron, S., *The coins of the Indian sultanates*, (London, 2003), p.35.

(27) جاء على وجه العملة: (ضرب دلهي في عهد الإمام المستنصر)، انظر:

Thomas, E., *Chronicles of the Pathan Kings of Delhi*, (London, 1871), pp.46, 52.

منشور من الخليفة العباسي المستنصر بالله عام 626هـ / 1228م، وذلك كتقليد شرعي بتنصيبه كحاكم على الهند، بجانب الخلع والألوية السوداء شعار العباسيين[28].

وبلا شك فإن هذا الاعتراف ربما يكون قد سبقه إرسال الهدايا والأموال للخليفة العباسي، وفي كل الأحوال أدى اعتراف الخليفة العباسي به إلى تقوية مركزه في الهند ومكن من نفوذه بين المسلمين هناك، وقد اغتنم التتمش فرصة تأييد الخليفة له فخرج يبغي القضاء على خصومه وتوسيع رقعة ملكه[29]. وقد أثبتت تلك الحقيقة تأثير الخليفة على سلاطين دلهي، وأوضحت إدراكهم لأهمية السلطة الأخيرة للخليفة، ومع ذلك لم تكن سلطتهم خارج الحدود الجغرافية للهند، وكانت داخل الهند مجرد سلطة روحية فقط[30].

والنقطة الجديرة بالاهتمام أن الخليفة منح تقليدا مماثلا للمنافس الرئيسي للتتمش وهو غياث الدين حاكم البنغال، وكان ذلك اعترافا منه بوجود سلطانين مسلمين في الهند في نفس الوقت، وربما يكون غياث الدين قد أرسل الهدايا والأموال من أجل الحصول على هذا التقليد، لكن التتمش هزم غياث الدين وأجبره على الاعتراف به كسلطان أعظم[31].

ومع مطلع عهد الأسرة الخلجية (689 – 721هـ / 1290 – 1321م)، نلمس تطورًا ملحوظًا للفكر السياسي لحكام هذه الأسرة، وعلى الرغم من أن البداية كانت تقليدية؛ حيث استمر مؤسس الأسرة جلال الدين فيروز شاه الثاني (689 – 695هـ / 1290 – 1295م) يذكر اسم الخليفة العباسي المستعصم بالله على عملته بنفس الطريقة التي تعبر عن الاحترام والتبجيل[32]، برغم مقتل هذا الخليفة وظهور خلفاء عباسيين جدد في مصر. ويبدو هنا أن جلال الدين سار على النمط التقليدي للفكر الذي اتبعه أسلافه في الالتصاق

(28) أمير خسرو، إعجازي خسرو، لكنو 1876، ص14.

(29) الساداتي، تاريخ المسلمين، ص115.

(30) انظر:

Tripath, P., *Some Aspects of Muslim Administration*, (Allahabad, 1936), p.26.

(31) الجوزجاني، طبقات ناصري، ص 485.

(32) جاء على وجه العملة: (الإمام المستعصم أمير المؤمنين)، انظر:

Goron,S., *The coins of the Indian sultanates*, p.42.

بالخلافة العباسية دون اتصال حقيقي بالخلافة ؛ يدل على ذلك أنه ذكر على عملته اسم الخليفة العباسي الراحل دون أن يعنى بمعرفة وجود خلافة عباسية مستمرة في مصر.

ومع اعتلاء إبراهيم شاه الأول (695هـ/ 1295م) العرش ازداد التصاق سلاطين هذه الأسرة بألقاب الخلافة ، فقد لقب نفسه بلقب (ناصر أمير المؤمنين) ونقش هذا اللقب على عملاته[33]، وبرغم ما يبدو من هذا اللقب من وجود اتصال مباشر بين السلطان والخليفة العباسي ، وما يوحي به من تقديم دعم للخليفة ، إلا أننا لم نجد ما يدعم هذا الاتصال في المصادر المعاصرة. ويبدو أن هذا اللقب كان مجرد لقب شرفي حرص السلطان على اتخاذه دون أن تكون له ترجمة فعلية خاصة أنه لم يذكر اسم أي من الخلفاء العباسيين في مصر على عملاته.

ومع اعتلاء علاء الدين محمد شاه الأول (695– 715هـ/ 1295– 1315م) العرش بدأت إرهاصات التحول في الفكر السياسي لسلاطين دلهي، فيبدو أن اتساع حجم السلطنة والفتوحات الكثيرة التي حققها هذا السلطان على جيرانه الهنادكة ، بجانب كسره لشوكة المغول الذين هاجموا الهند خلال عهده ، يبدو أن كل ذلك قد أدخل قدرا من الغرور في نفس علاء الدين فتخيل نفسه في مسوح الإسكندر المقدوني وتلقب بلقب الإسكندر الثاني، وتطلع لغزو العالم كله، بل ذهب به الحال لأبعد من ذلك فأخذ يصرح في مجالسه بأن قادته هم منه بمنزلة الخلفاء الراشدين من النبي ﷺ ، فهو قادر بهم على تنظيم الدعوة لدين جديد يخرجون للتبشير به في العالم[34].

وإذا كان أفراد حاشيته لم يجرؤ أحدهم على مناقشة السلطان في أفكاره الغريبة إلا أن عمه القاضي علاء الملك لم يقف ساكنًا أمام شطط سلطانه موضحًا له أن النبوة لا تكون بوحي من البشر بل هي وحي إلهي، وأن مسألة فتح العالم في هذا العصر أمرٌ مستحيل لاختلاف زمانه عن زمان الإسكندر اختلافا تامًّا[35].

---

(33) جاء على وجه العملة: (السلطان الأعظم جلال الدنيا والدين ناصر أمير المؤمنين) انظر :
Goron S., The coins of the Indian sultanates, p.45.,

(34) الساداتي ، تاريخ المسلمين ، ص137.

(35) برني ، فتوحاتي فيروز شاهي ، ص 256..

ويبدو أن كلمات القاضي علاء الدين قد وجدت آذانًا صاغية ولمست صوت العقل في نفس السلطان ، الذي سرعان ما نحى هذا التفكير جانبًا وعاد ليسير على نهج أسلافه في الالتحاف بمسوح الخلافة العباسية فاستخدم لقب ناصر أمير المؤمنين، بل وأضاف إليه لقبا جديدا وهو(يمين الخلافة)(36).

ورغم أن ابنه وخليفته قطب الدين مباركشاه الأول(716 – 720 هـ/ 1316 – 1320م) سار على نفس نهجه في التلقب بيمين الخلافة في بداية حكمه إلا أنه سرعان ما عاد إلى سيرة والده الأولى وقام بخطوة جديدة تمامًا ؛ حيث لم يكتف بإلغاء اسم الخلفاء العباسيين من العملات، بل زاد على ذلك باتخاذه لقب خليفة. وربما كان له دوافعه الخاصة بعيدًا عن محاولة والده السابقة ؛ فقد ورث إمبراطورية عظيمة بناها علاء الخلجي وكان حديث السن. وربما لم يهتم بإظهار الولاء لخليفة ميت ، أو ربما فكر أنه طالما كان هناك خلفاء في المدينة ودمشق وبغداد وقرطبة ومؤخرًا في القاهرة فلِمَ لا يكون هناك في الهند ، التي كان يرى أنها تتفوق على كل تلك البلاد. لكن كل ذلك تخمينات لأن السبب الحقيقي لذلك غير معروف ، وقد اتخذ الألقاب التي كان يتخذها الخليفة العباسي مثل الواثق بالله أمير المؤمنين والإمام الأعظم. فقد جاء على وجه عملته التي ضربها عام 717هـ/ ، (مباركشاه السلطان ابن السلطان الواثق بالله أمير المؤمنين) ، كما وصفت حاضرته دلهي بأنها (حضرة دار الخلافة)(37).

ويبدو أن فكرة الخلافة كانت فكرة جسورة بالنسبة لمن جاؤوا بعده ووجد السلاطين الآخرين أنها ستؤثر على وضعهم في نظر رعيتهم من المسلمين(38)، فاستبدلها ناصر الدين

(36) جاء على وجه العملة: (إسكندر الثاني ناصر أمير المؤمنين يمين الخلافة)، انظر نموذج للعملة بالملاحق ، وانظر : بلانت ، النقود العربية ، ص79.

(37) جاء على وجه العملة: (الإمام الأعظم خليفة رب العالمين قطب الدنيا والدين أبو المظفر)، انظر نموذج للعملة بالملاحق ، وانظر :

Thomas, E., *Chronicles of the Pathan,* pp.183 - 179-183.

(38) انظر :

Black, A., *The history of Islamic political thought,* p.160.

خسرو شاه سنة (720هـ / 1320م) بلقب (ولي أمير المؤمنين) ، لقد عاد ناصر الدين خسرو مرة أخرى للاعتراف بالولاء للخليفة[39]. ولكن هذه الخطوة لم تكن سوى مرحلة تمهيدية لانقلاب كبير كان يضمره خسرو؛ حيث كان يضمر إحياء الهندوكية من جديد واسترجاع مجد الهنادكة القديم ، فجمع حوله عصبة من مواطنيه عاهدوه على المضي فراحوا يحطون من قيم الإسلام في استهتار وجرأة بالغتين حتى اقتحموا المساجد وأقاموا بها تماثيل للآلهة الهندية وجعلوا من المصاحف قاعدة لها[40]. ولا شك أن هذا التوجه كان يعني تغيرا جديدا في الفكر السياسي لسلاطين دلهي ، ونتج عنه بالطبع عدم الاهتمام بالخلافة سواء في الناحية العملية أو حتى الرمزية.

ومع مطلع أسرة آل تغلق (721 – 816 هـ / 1321 – 1414م) عادت الخلافة العباسية تحتل مكانة مرموقة لدى سلاطين دلهي ، ولا عجب في ذلك فقد شهدت هذه الفترة ازدهارا في الفكر السياسي لاسيما فيما يتعلق بدور السلاطين نحو الإسلام ، وظهر في تلك الفترة واحد من أشهر المنظرين للفكر السياسي في تاريخ الهند الإسلامية وهو المؤرخ ضياء الدين برني (ت 758هـ / 1357م)[41] الذي وضع واحدًا من أهم كتب الفكر السياسي الهندي وهو كتاب (فتاواي جهانداري)[42]، الذي يعادل في أهميته كتاب سياسة نامه للوزير السلجوقي نظام الملك. وقد وضع في هذا الكتاب أهم القواعد السياسية التي يجب أن يسير

(39) فقد جاء على عملته: (خسرو شاه السلطان الواثق بنصر الرحمن ولي أمير المؤمنين)، انظر، بلانت ، التقود العربية ، ص80.

(40) فرشته ، تاريخ فرشته ، ص128 ؛ أمير خسرو ، تغلق نامه ، ص24-35.

(41) عن شخصية هذا المؤرخ انظر:

Hassan, S., " Ziauddin Barani ", *Islamic Culture* , 12(1938), p.69f; Habibuallah, M., " re-evaluation of the literary sources of pre -Mughal history", *Islamic Culture* ,15(1941), pp.207-206.

(42) برني ، فتاواي جهانداري ، نسخة المكتب الهندي (India office) ،

Translated in : Habibuallah , M., *The political theory of the Delhi Sultanate*, (Delhi, 1961), pp.1-116.

وللمزيد عن هذا الكتاب انظر :

Aziz, A., " Trends in the political thought ", p.123f.

عليها السلطان في علاقته بالإسلام ورعيته المسلمة. ويبدو واضحًا أن تأثر سلاطين هذه الأسرة بما جاء في هذا الكتاب ، خاصة أن برني كان واحدًا من أهم رجال البلاط في عصر هذه الأسرة، خاصة في عهد محمد تغلق الذي كان يناظر برني في محتوى هذا الكتاب[43].

وفي البداية عاد مؤسس الأسرة غياث الدين تغلق شاه لاستخدام عبارة: (ناصر أمير المؤمنين)على عملاته[44]. وخلال عهد ابنه محمد بن تغلق انتقل الفكر السياسي لسلاطين دلهي لمرحلة جديدة، وهي الاتصال المباشر بالفرع الجديد للخلافة العباسية التي جرى إحياؤها في القاهرة ، وهو الأمر الذي تجاهله أسلافه طيلة السنوات التي ظهرت فيها الخلافة العباسية من جديد في مصر. وقد حرص محمد علي الاتصال بالخليفة العباسي المستكفي في القاهرة وطلب منه التقليد الشرعي ، فأرسل له الخليفة التقليد مع شيخ الشيوخ بديار مصر ويدعى ركن الدين[45]. وأدت هذه الخطوة إلى تقوية مركزه الذي كان قد تضاءل نتيجة الثورات المتعددة في كل أجزاء دولته واستقلال البنغال عن سلطانه[46]. ولم يكتف محمد تغلق بذكر الخلفاء العباسيين على عملته فقط، بل بالغ في إظهار احترامه وتبجيله للخليفة ، فنراه يضرب سكة لا يذكر اسمه عليها، بل يكتفي بذكر اسم الخليفة العباسي الحاكم بأمر الله (741 – 753م) القابع في القاهرة[47].

في هذا الموقف المتشابك (الثوار واستقلال البنغال) ، سعى محمد بن تغلق للحصول على اعتراف من الخليفة العباسي في مصر لتقوية سلطته ، وقام محمد باستبدال اسمه باسم

---

(43) انظر:

Hardy, P. " The " ortatio recta" of Barani " Ta'rikh-i- Firuz shahi – fact or fiction ", *Bulletin of the school of oriental and African Studies*, 20 (1957),p.317.

(44) جاء على وجه العملة: (تغلق شاه السلطان ناصر أمير المؤمنين) ، وانظر :

Goron,S., The coins of the Indian sultanates, p.47.

(45) ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت، 1964 ، ص284.

(46) انظر :

Husain,M., *Tughlaq Dynasty*, (Calcutta, 1963), p.195.

(47) انظر بلانت ، النقود العربية ، ص80.

Thomas, *Chronicles*, pp. 207-216, 246-253, 259-260.

الخليفة على العملة والخطبة ، لكن مشروعه لم ينجح ، فقد تصدع بقوة كبيرة وفاء وثقة شعبه بدرجة لم يكن من الممكن إصلاحها باعتراف الخليفة(48).

في هذا الموقف لم يحاول أن يبحث عن الدعم في الهند من رعيته غير المسلمين ، لكنه التمس ذلك في الأهمية العظيمة لاعتراف الخليفة الذي أعلن أن كل السلاطين الذين لم يحصلوا على تقليد رسمي منه حكام غير شرعيين(49). وفي عام 1343م استلم محمد من الخليفة التقليد والخلعة الشريفة. وكانت تقواه الدينية إزاء الخليفة وسلوكه الودي تجاه رسل الخليفة مثيرة للدهشة وأدت إلى قيام معاصره ضياء الدين برني بإبداء خمسة تعليقات مزدرية، فقد ذكر أن إيمان السلطان العظيم بالخليفة جعله يقول إنه سيرسل كل ثروته في دلهي لمصر(50).

وكان هناك ابن للخليفة المستنصر العباسي يدعى (غياث الدين محمد) يقيم في بلاد ما وراء النهر فلما لمس من محمد تقديره للخلفاء العباسيين أرسل له برسولين ، ولما تأكد السلطان من صحة نسبه عن طريق أحد كبار رجال الدين في سلطنته ويدعى (ناصر الدين الترمذي) وكان الأخير قد قابل غياث في بغداد وتأكد من نسبه ، رحب بهما وأجزل لهما العطاء كما أرسل الأموال والهدايا لغياث وطلب منه القدوم إليه . فلما قدم عليه قام باستقباله استقبالا لم يفعله مع شخص آخر بوصف ابن بطوطة ؛ حيث خرج لاستقباله بنفسه على رأس كبار رجال دولته ، وأصر على أن يأخذ بركاب غياث حتى أوصله لقصره ، واعتذر له بأنه لا يمكنه مبايعته لأنه بايع أبا العباس ، فقبل منه ذلك وأكد له أنه على البيعة أيضا كما خصص له مظاهر للتكريم، فقد سمح له بالدخول عليه راكبا وهو ما لم يكن يسمح به لأحد ، كما سمح له بالجلوس على بساط واحد ، وأمر الناس بأن يخدمونه كما يخدمون السلطان . وبعد ذلك أغدق عليه بالهدايا ؛ فقد أقطعه مدينة سيري بجانب 100

---

(48) انظر :

Majumdar,M., *An advanced history of India* , (London , 19630), p.326.

(49) انظر :

Lal , The legacy of Muslim rule in India, p.79.

(50) برني ، تاريخ فيروز شاهي ، ص493.

قرية وحكم البلاد التي تقع شرق دلهي ، بخلاف الهدايا الفخمة الأخرى من الأموال ونفائس مملكته (400 ألف دينار ، 2000 تنكة ذهبية ، و300 دينار يومي لنفقته ، 30 بغلة بسروج ذهبية ، والخدم والجواري)[51].

وإذا كان كل ذلك منح لواحد من البيت الذي أصبح ميتا ، فكم كان مقدرا ما سيتم إرساله للخليفة في مصر، ولا عجب أمام سخاء السلطان أن السلطان استلم التقليد من الخليفة أكثر من مرة[52]. ولم يكتف بهذا التكريم ، فعندما غضب ابن الخليفة حين استقبل محمد تغلق السلطان الغزنوي بهرام ، وكان على خلاف معه ، وقرر ترك البلاد.. أسرع السلطان لترضية الخليفة وحلف أن يدوس على عنقه وأصر رغم امتناع الخليفة[53].

ورغم أن الكتبي يذكر أنه يتخذ لقب خليفة الله في أرضه، إلا أننا لم نجد ما يؤكد ذلك سواء في المصادر المعاصرة أو في عملته المسكوكة[54].

وهذا الاتجاه بالتبعية شجع الخليفة على أن يرسل لخليفة محمد ، فيروز شاه تغلق مرسوم التولية ، ويعهد إليه بولايات الهند[55]. وفي كتابه فتوحاتي فيروز شاهي ، اعترف فيروز شاه أن الشرف العظيم والأفضل حصل عليه من الله ، وطاعتي وولائي وخضوعي للخليفة ، باعتباره خليفة للرسول ، وتأكدت سلطتي بواسطة مرسوم الخليفة الذي يؤكد سلطة الملوك، ولا يوجد ملك يأمن حتى يحصل على التقليد من الخليفة[56].

---

(51) ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص 286 ، 287.

(52) انظر :

Ishwari Prasad, *A History of the Qaraunah Turks in India*, Vol. I, (Allahabad, 1936), p.182 and n.125.

(53) ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص 288

(54) الكتبي ، الوافي بالوفيات ، ج3 ، ص143.

(55) برني ، تاريخي فيروز شاهي ، ص498 ؛ شمسي سراج عفيف ، تاريخي فيروز شاهي ، كلكتا 1890 ، ص274- 276.

(56) فيروزشاه ، فتوحاتي فيروز شاهي ، عليكرة (ب.ت) ، ص25.

كان فيروز شاه متعصبًا دينيًّا ويضطهد الهندوس ، وكان يُكن احترامًا كبيرًا للخليفة العباسي في مصر ، وخلال السنوات الأولى من حكمه اعتبر نفسه كنائب له ، وخلال الست سنوات الأولى من حكمه تلقى مرتين من الخليفة العباسي التقليد والخلعة الشريفة ، وقام بذكر اسم الخليفة معه على العملة(57). كما اتخذ لقب سيف أمير المؤمنين، وكذلك لقب نائب أمير المؤمنين. وقد سار خلفاء فيروز على نفس سيرته في تقديرهم للخلافة العباسية ، فاستمروا يذكرون اسم الخليفة المتوكل على عملاتهم(58).

وقبل أن نناقش أسباب حرص السلاطين على الحصول على الاعتراف الشرعي من الخلافة ، أو حتى الالتصاق بها كواجهة دينية وسياسية ، يبدو هناك تساؤل هام للغاية لا بد أن نجيب عليه وهو : هل منح الخلفاء العباسيين التقليد والخلع لسلاطين دلهي يُعدّ سببا في جعل هؤلاء السلاطين تابعين للخلفاء سياسيًّا؟

في الواقع يبدو من الصعوبة القول بذلك ، ولا نميل لمشاركة وجهة النظر التي ترى أن استلام التمش التقليد الرسمي من الخليفة العباسي جعل سلاطين دلهي حكامًا تابعين للخليفة(59). حقيقة أن كثير من هؤلاء حمل لقب نائب الخليفة لكن كان لقبًا تشريفيًّا ليس أكثر في ظل الفكر السياسي لهؤلاء السلاطين ، لكن هذا اللقب لم يكن يترتب عليه أية تبعات سياسية أو عسكرية أو أية التزامات من جانب السلاطين نحو الخليفة باستثناء الأموال والهدايا التي ترسل في بعض المناسبات.

ولعل ما يدعم ذلك هو أن الخليفة العباسي نفسه لم تعد لديه أية سلطات سياسية على أي منطقة في العالم الإسلامي بما فيها القاهرة نفسها، التي صارت مركزا للخلافة العباسية ومسرحا لفصل جديد من فصول الوجود الأسمى لهذه الخلافة.

---

(57) انظر :

Majumdar, M., *An advanced history of India*, p.330.

(58) انظر:

Lal , *The legacy of Muslim rule in India*, p.79.

(59) عن هذا الرأي انظر :

Habibullah, A., *The Foundation of Muslim Rule in India*, p.233.

وإذا ما انتقلنا إلى الأسباب التي جعلت السلاطين يحرصون على الالتحاف بمسوح الخلافة ، والحصول على تقليد شرعي من الخليفة العباسي ، فربما ناقشنا بعضها في سياق الأحداث السابقة وبعضها سياسي يتعلق بالجذور الأولى لهؤلاء السلاطين ، خاصة سلاطين المماليك الهنود الذين أرادوا الحصول على سند شرعي لحكمهم وإضفاء الصبغة الشرعية عليه ، وهم بذلك كانوا أسبق من سلاطين المماليك في مصر في هذا التوجه. والآخر متعلق بارتباط الدين بشئون الحكم وسياسة الرعية في مجتمع الهند الإسلامية.

ولا عجب أنه لا أحد من السلاطين الذين حكموا في الفترة ما بين التتمش واللوديين رفض الخضوع الشرعي للخليفة العباسي باستثناء مباركشاه الخلجي ، وكلهم ادعوا أنهم نواب للخليفة رأس العالم الإسلامي. وقد أعطى هذا الاعتراف للخليفة من قبل ملوك الهند المسلمين الهيبة والثروة. وأعطى السلاطين الهنود - وكان كثير منهم عبيدا في الأصل - حالة شرفية في العالم الإسلامي وصورة مرضية في الشريعة الإسلامية[60].

والأكثر من ذلك أن تضمين اسم الخليفة في الخطبة أدى لزيادة محبة السلطان لدى رعيته المسلمين. بجانب ذلك فإن الطريقة التي تم استقبال رسل وخلع الخليفة بها ، تشير إلى أنها لم تكن فقط مجرد تبعية اسمية بل احترام وتقدير عميقين. وقد أمدت التبعية للخليفة قوة أخلاقية وشرعية للقوة السياسية للحكم الإسلامي في الهند[61].

ومن الواضح أن هذه اللعبة السياسية لم تغب عن أذهان النخبة المسلمة الحاكمة خارج دلهي ، فأقدموا على نفس الخطوات التي قام بها سلاطين دلهي من مخاطبة الخلفاء العباسيين والتلقب بالألقاب المتعلقة بالخلافة مثل نائب أمير المؤمنين أو ناصر أمير المؤمنين ، وفي المقابل حصل بعدهم على اعتراف شرعي من الخليفة أيضًا. فقد حصل بعض سلاطين جانبور Jaunpur والبنغال Bengal على تقليد من الخليفة العباسي بحكم الهند ، فقد أرسل

---

(60) انظر :

Tripath, P., *Some Aspects of Muslim Administration*, (Allahabad, 1936), p.26.

(61) انظر :

Lal, *The legacy of Muslim rule in India*, p.80.

السلطان غياث الدين أعظم شاه عام 814هـ/ 1412م يطلب التقليد من الخليفة المستعين بالله (808 – 815هـ) وأرسل إليه مالًا [62]، لكن لا نعرف مصير هذه السفارة.

كما أرسل جلال الدين أبو المظفر محمد شاه إلى الخليفة العباسي المعتضد بالله أبي الفتح داود (815 – 824هـ) يطلب تقليدًا بسلطنة الهند ، فبعث إليه الخليفة الخلعة والتشريف مع بعض الأشراف[63]. وقام جلال الدين بالتلقب بلقب (ناصر أمير المؤمنين وغوث الإسلام والمسلمين) (جلال الدنيا والدين أبو المظفر محمد شاه)[64].

كما أنهم أطلقوا على أنفسهم لقب نائب الخليفة العباسي[65]، فعلى العملة التي سكها السلطان شمس الدين إبراهيم شاه عام 823هـ : (الواثق بتأييد الرحمن أبو المظفر إبراهيم شاه السلطان) (في زمان الإمام نائب أمير المؤمنين أبو الفتح خلدت خلافته)[66].

كما حرصوا على ذكر اسم الخليفة العباسي على عملاتهم ، فعلى العملة سكها غياث الدين سلطان البنغال عام 619هـ نجد على الوجه: (السلطان الأعظم غياث الدنيا والدين أبو الفتح عواد بن الحسين ناصر أمير المؤمنين ووالي عهد الحق والدين) وعلى القفا: (لا اله إلا الله محمد رسول الله الناصر لدين الله أمير المؤمنين). وكذلك مغيث الدين يزبك عام 653هـ الذي ذكر المستعصم على عملته (السلطان الأعظم مغيث الدين والدين أبو المظفر يزبك السلطان) (في عهد الإمام المستعصم أمير المؤمنين)[67].

(62) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق : رضوان جامع رضوان ، القاهرة، 2004 ، ص544.
(63) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج15 ، القاهرة، 1972 ، ص193.
(64) انظر : Goron S., The coins of the Indian sultanates, p.113.
(65) انظر : Thomas, *Chronicles*, pp.194,197, 321-322.
(66) انظر : Gorón S., The coins of the Indian sultanates, p.115.
(67) انظر : Goron S., The coins of the Indian sultanates, p.117.

كما أرسل الخليفة المستنجد بالله (859-884هـ)(68) للسلطان محمود الخلجي في ملوا Malwa الخلع الشريفة وخطاب التقليد، وقد قبل محمود هدايا الخليفة وأرسل مع رسل الخليفة الهدايا ومبلغا ضخما من الذهب والفضة(69).

وفيما يتعلق بموقف الخلفاء العباسيين من هذا التوجه في فكر سلاطين دلهي، بدا لنا بوضوح أن الخلافة العباسية التي كانت على وشك الاحتضار في بغداد لم يكن يعنيها وهي تقاسي ويلات الضعف لمن يذهب التقليد الخلافي بقدر ما كان يعنيها اهتمام سلاطين الهند بالحصول على الاعتراف، وما يتبع ذلك من هدايا وأموال كانت في أمس الحاجة إليها.

فالخلافة العباسية حتى بعد إحياء الخلافة في مصر ظلت على وضعها الشكلي في أغلب الأحيان، كما لاقت الكثير من الهوان على يد المماليك أنفسهم، وفي ظل هذه الأوضاع لم نكن نتوقع من الخليفة العباسي طموحا أكثر من شعوره بقيمته الروحية على الأقل والهدايا والأموال التي تنعش أحواله في كثير من الأحيان. لذلك لم يكن الخليفة يتورع عن منح التقليد الخلافي لأكثر من سلطان في نفس الوقت برغم تنافسهما في الحكم، بل إن بعض الثوار من سلاطين دلهي استلموا التقليد والخلع الخلافية أيضًا.

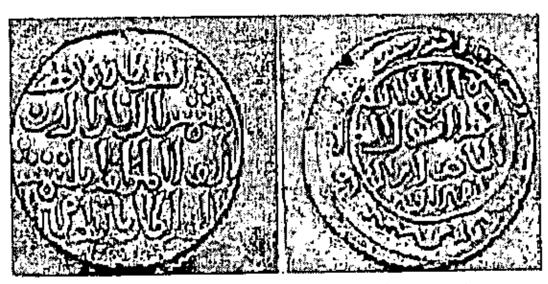
---

(68) عنه انظر، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص551.

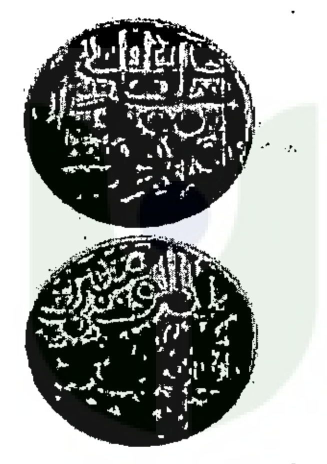
(69) انظر:

Lal, *The legacy of Muslim rule in India*, p.80.

نماذج للعملات المضروبة باسم سلاطين دلهي



نموذج لعملة مضروبة باسم السلطان التتمش



نموذج لعملة مضروبة باسم السلطان فيروزشاه تغلق



نموذج لعملة مضروبة باسم السلطان جلال الدين أبو المظفر محمد شاه

نقلا عن : **Goron S., The coins of the Indian sultanates**